الأسطورة والرمز في الشعر الجزائري المعاصر من المعنى إلى فائض المعنـــى قراءة في ديوان " الجرح والكلمات " لفاتح علاّق

د/حميداتو علي
جامعة البليدة2

الملخص :

يتضمن هذا المقال قراءة في ديوان "الجرح والكلمات" للشاعر الجزائري "فاتح علاّق" وحاولنا فيه إبراز القيم الجمالية والرؤى الفنية للشاعر من خلال توظيفه للرمز والأسطورة اليونانية، والتي استحضرها ليعبّر بها عن تجربته الشعرية والشعورية ، حيث الاندماج التام بينه وبين الرمز المستحضر. كما نرى (ذات) الشاعر متململة بين إمكانيتين فهو الضحية من جهة والقائد من جهة أخرى، ولأجل ذلك جاءت قصائد الديوان بين عالمين متباينين عالم الواقع وعالم المأمول، أو الكائن والممكن، حيث يظهر لنا الشاعر في عالم الواقع كسيرا ، يساوره الشك في إعادة تغييره، ولكنه يحلم بغد آت يبدّد له أحزانه، وإن دفع لذلك نفسه قربانا للسالكين، وحينما لا يأت هذا المنتظر لم يبق للشاعر عندئذ إلاّ الجرح والكلمات.

الكلمات المفتاحية: الشعر ، الرمز ، الأسطورة ، المعنى، الواقع ، المتخيّل.

Abstract :

The current article includes a lecture reading from the poetry book entitled –Eljorh wa lkalimat written by the poet Fatah Allag. We attemted to clarify the esthetic values and the Artistic vue of the poet.

Through the use of symbolism and Greek Mythology to express his personal feeling and experiences.

A good integration between the poet and symbolism where all the poems were related to reality that is expected and what is possible.

Although the poet who appears very sad and strange in the world of reality he has a positive expectation of a good future. However this future has not arrived yet what is left is only broken heart and hurting words El djorh wa lkalimet.

Key-words : poetry , symbolism , mythology , signification , reality , imaginative

تمهيد:

حينما نتصفح فضاء الممارسة الشعرية الجزائرية المعاصرة يظهر لنا ذلك الإنتاج الشعري وفيرا، ذلك ما نراه في دور النشر ورفوف المكتبات العامة والخاصة، حيث تحفُل بالدواوين الشعرية وتترى لك من يوم إلى آخر في أبهى حللها، فهي تشهد نموا متزايدا على مرّ الأيّام وكأنّ الشعر في عصره الذهبي، وعلى الرغم من ذلك فإنه يكاد يعاني من إشكالية القراءة بحيث اتجه أغلب النقاد والباحثين خاصة منهم الأكاديميون إلى الرواية بحثا ودراسة طالت حتى المغمورين منهم، بسبب ما يتداول في منابرهم الثقافية من عبارات تبدأ من صيغة " أزمة الشعر " أو " مأزق الحداثة " حتى تفضي إلى القول "بموت الشعر وانتهاء زمانه لأننا في عصر الرواية)[1]

ولأجل ذلك ودفاعا عن الشعر، فإننا نروم في هذا المقال مقاربة النص الشعري الجزائري المعاصر ممثّلا في أحد أبرز أعلامه وهو الشاعر والأستاذ الجامعي" فاتح علاّق" محاولين قراءة ديوانه "الجرح والكلمات " لاعتقادنا الراسخ بأنه يمثّل أحد نماذجه المائزة، وللكشف عن كيفية تمثّله للأسطورة باعتبارها فضاء تخييليا وظفه الشاعر تماشيا والرؤية الوجدانية التي يعيشها.

يحتوي ديوان " الجرح والكلمات" للشاعر "فاتح علاّق "[2] على عديد القصائد منها(28 قصيدة متوسطة الطول ، ومنها 09 قصائد قصيرة جدا –كما عبّر عنها الشاعر) يقع في 112 صفحة من الحجم المتوسط مصحوب بصورة على غلافه الخارجي، حيث كتب العنوان بالبند العريض وباللون الأحمر وأسفله صورة لليد اليسرى تنزف دما فيسيل على الأرض مشكلا بركة من الدماء، وهي دلالات موحية بالجرح العميق في اليد كأيقونة دالة على عمق التجربة الشعرية والشعورية على حدّ سواء.

يفتتح الشاعر ديوانه بمقدمة نقدية [3]غاية في الدّقة، ولعل الهدف منها توجيه القارئ للاستئناس بها حينما يخوض غمار تلقّيه وقراءته للديوان وكأني بالشاعر قد أحسّ بجفاء القارئ العربي، وبفساد ذوقه، في عصر كثُر فيه الحديث عن الرواية والروائي، ولأجل ذلك نرى في هذه الافتتاحية النقدية من الأهمية بمكان لتوجيه القارئ العربي لاستكناه معاني القصائد الدفينة الحبلى بالرموز والدلالات السابحة في كل بحار المعرفة شرقا وغربا، ناهلة من ينابيع مختلفة ، فهي تعانق الوجود وتتلفّع ببردة الصوفي ، وتتكلّم بلسان "عمر الخيّام" وتنغمس في الأسطورة اليونانية والتاريخ. ولأجل ذلك فقصائد الشاعر "فاتح علاّق " تبدو

عصيّة عن الفهم لأنها ذات علائق مع نصوص أخرى تتفاعل معها وتتوالد، فتُخلق الكلمة وهي حمّالة أوجه، ملتبسة، وغامضة غموض الشعر الحديث، والذي هو في عمقه – الغموض– إكسير الشعر.

1- دلالة العنوان:

يُعدّ العنوان من أهمّ العتبات الدلالية التي تُوجّه القارئ إلى استكناه مضامين النصوص وتفكيك شفراتها واستقراء محمولاتها الدلالية [4] جاء عنوان الديوان جملة اسمية " الجرح والكلمات " وفي تقديم الجرح عن الكلمات ما يوجّه زاوية النظر إليه، مما يجعله موطن التبئير ليكون سلطة توجيهية للمتلقي ومنحه صورة ذهنية عن مضمون الديوان ومحتوياته والتي ستكون مشتملة على كلّ صنوف وأسباب الجرح، وما يتصل به من ألم وحزن شديدين.

إلاّ أنّ عطف " الجرح " بالكلمات سيجعل المتلقي يدرك لا محالة أنّ الكلمات في هذا الديوان ستكون حُبلى بالألم والحزن العميقين ، لأن الكلمات أخذت موطن الألم/ الحزن باعتباره الحالة الطبيعية التي تأتي بعد الجرح إلاّ أنّ الشاعر أراد من خلال العنوان صدم المتلقي فلم يقل: الجرح والألم ، بل: الجرح والكلمات، وإن كنّا معجميا نستطيع أن نشتقّ منها " الكلم و الكُلُوم، وهي الجروح الغائرة والعميقة، لتتوافق والجرح المقدّم.

إلا أنّنا حينما نتصفح الديوان نجد العنوان باعتباره ملفوظ يقوم بوظيفتين مزدوجتين من حيثُ كونه عنوانا خارجيا وداخليّا معا، فهو عنوان للديوان، وعنوان للقصيدة الثانية فيه، مما يجعله سلطة تبئيرية وتوجيهية مركّزة تُسهم في توجيه فعل القراءة داخليا وخارجيا، وتجعل القارئ يستدعي شاعرا مجروحا وزمانا حزينا، وما كلماته تلك عندئذ إلا تبرير لهذا الجرح ودلالة عليه، وسببا في تكوُّنه وعدم إلتآمه يقول الشاعر عن الكلمات:

قالت وقد نالني سهمها فانكسرت على شوكة تتنامى

– ما كذب القلب أو سحرت بصري–

إذا كان أدماك صوتي

وحزّ وتينك ما فتق القلب من زهر

فاطلق جناحي إنّ الفضاء ينادي هياما [5]

ويقول الشاعر عن الكلمات أيضا في افتتاحية الديوان:(الكلمات في الشعر خائنة للشاعر والواقع والحياة)[6] و يقول أيضا:(الكلمة تقول والقول فعل وليس أقوى من أثر

الكلمة في حياة الناس)[7](الشاعر ذلك الكائن الأسطوري يسكن الكلمة ويطلّ على الناس من شرفتها) [8](على أنه كثيرا ما تقوم الحرب بين الشاعر والكلمة)[9] (الشعر كلمة والكلمة ذات سلطان)([10].

يتضح من خلال ما سبق أنّ الشاعر موجّه للمتلقي عبر هذه التفسيرات لئلاّ يحمّل كلماته أكثر مما تعني، لأننا ندرك تمام الإدراك بأن الكلمة تجرح..الكلمة تؤذي.. الكلمة تورث الصراع، وتفرّق الخلاّن وترمي بهم في واد سحيق. ولأجل ذلك كان في افتتاحية الديوان ما ينير سبيل السالكين، في فهم أدبية الكلمات في الشعر وقيمها الفنية. لأن اللغة "العلاّقية" تتوقّ دوما إلى إثبات الإرادة الإنسانية على الفوضى، إثبات للإرادة بالكلمات الخلاقة الشريفة في المعنى الشريف، الغامضة غموض الحياة، اللغة المجازية التي يقتنص فيها الشاعر الوجود كلّه ويحتضنه ،ومن ثمة يرمي بعقابه على الآخر الذي هو عدوّه، عدوّ النهضة العربية، عدوّ الوحدة،... وعلى كثرتهم فإنهم غثاء كغثاء السيل . يقول الشاعر:

ها انطفأت أنوار مسجدنا الأموي
فتمشي الرعب في الطرقات؟
الجرح ينادي وحدتنا
القدس تنادي صولتنا
فلتنتصب القامات
(ألهاكم التكاثر والفرش الوثيرة
فنمتم عن الأذى
فتبّت العشيرة
وتبّت العشيرة
وأهلا بالردى[11]

وهكذا نستطيع أن نتبيّن عوالم الديوان من خلال البنية التركيبية للعنوان الذي يحمل هذه الدلائل الخفية المتوارية خلف الجرح من مآس وتصوير للواقع المؤلم(العالم) الذي يحياه الشاعر و(للممكن) الذي يخفق له قلبه أن يجيء بفجر جديد، ولذلك نراه يشحذ الهمم، بخطابه الآمر في قصيدته "لا تيأس" الحبلى بالتعبئة يقول الشاعر:

لا تيأس أبدا لا تيأس
وإن قتلوك

وإن صلبوك
وإن ألقوك في محبس
الأرض أبدا لا تنعس،
والكون حولك ما برحت أعماقه فيك تتنفس
لا تيأس أبدا لا تيأس [12]

2- عوالم الديوان:

تدور عوالم القصائد في " الجرح والكلمات " بين عالمين متباينين هما: عالم الواقع، وعالم الممكن هذا الأخير الذي يتوقّاه الشاعر وتخفق له جوانحه، إلا أن عالم الواقع يظل هو المسيطر والجاثم الذي لا يتغيّر متضمنا معاني الجمود ، فينكسر الشاعر في وحدة يتعانق فيها النّدم بالألم، وهي رؤية مفجوعة بعد ما خُيّب الأملُ، وانقطع به الرجاء يقول الشاعر:

سوف أبكي الصدى
فيا رياح لا تتّبعي خطواتي فإنّي مللت الطريق
وهذا الطريق ضعيف البصر
ولكن هناك نداء عميق
سأحفر قلبي حتى أرى وطنا
أو أموت سدى [13]

فأولى صفات هذا الواقع الذي نجد له إشارات عديدة وفي مواطن مختلفة من الديوان هي صفة(الغريب) فالشاعر يبكي وجوده غريبا في وطنه، فلم يعد بذلك وطنا كما يتغيّاه ويحلم به، لكنه واقع مرير يراه جاثما على صدره، ومع ذلك فهو يبصر في الأفق وطنا في عالم الممكن ، وإن كلّ وملّ فإنه لم يفقد الأمل بعدُ ببزوغ فجر جديد، ولذلك نراه يكرر الترجّي ب(لعلّ) يقول:

أكتبُ أمنيتي وأدقُّ الحجر
وأحفر قافية للنهر
لعلّ الثرى يرتوي
وينشقُّ هذا الحجر
سأركّز هذي العيون هنا راية

أسكب هذا الندى
سأحمل قلبي على راحتي وأجوب المدى
لعلّ السماء تغيم ويبكي الحجر
أيّها الزهر لا تخذل الروح إنّ المطر
سوف يأتي غدا[14]

فصورة الوطن المأمول(الممكن) هي صورة الواقع الذي يريد الشاعر أن يغيّره وإن دفع فؤاده ثمنا لميلاد وطن جديد وهو ما سيأتي غدا، ولأجل ذلك نراه يقول:

يا أيها البحر مُدّ يدا
واضرب الصخر حتى يجن
واضرب القلب حتى يئن
واضرب الليل حتى يضيء الحجر[15]

وهنا يعود الشاعر مرّة أخرى الى الخطاب الآمر، ما يجعله يتربّع على كرسي التعليم ليكون بذلك معلّم البشر وقائدهم وموجّههم إلى ما يجب فعله للخلاص، وهنا يكون للكلمة سلطان –على حدّ تعبيره في افتتاحية الديوان– ولكنه حينما لا يصغ إليه الوجود والإنسان تساوره الشكوك فتتسلل إليه عبثية "سارتر " لكنها عبثية بنكهة خاصة ألبسها الشاعر حُلّة الأمل وهو لذلك يقول"

عبثا أبحث عن وطن
هامتي كفن
ويدي كفن
وطريقي كفن
هل أرى وطني ذات يوم ترى
أم أرى مقبرة
هل أعود إلى الأرض ثانية
لأموت على ضرع نملة
أم أواصل خطوي إلى الآخرة؟[16]

إن سمة الحزن العميق، والتي تبدو واضحة في هذا المقطع، هي السمة الغالبة على نصوص الديوان منبعها نفس الشاعر الذي لم يبلغ من آماله شيئا، ولكنها أيضا

تصدر عن الوطن(الأمة) فهي لا تبلي فتحسن البلاء ولا تتقدّم إلى الأمام، ولأجل ذلك فلم يبزغ فجرها بعدُ، ولكن جذوة الأمل باقية.

3- توظيف الرمز والأسطورة في الديوان.

أ- الرمز الصوفي:

إنّ توظيف الرمز والأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر بات في متناول أغلب الشعراء، إلاّ أنّ فئة قليلة منهم استطاعت أن توظفها فنيّا باعتبارها صور حسيّة مُولّدة للدلالات، حيث تنبجس أمامك وظيفتها الفنية والجمالية والدلالية في عوالم القصيدة، ولعلّ الشاعر فاتح علاّق أحد هؤلاء الذين أولعوا بتوظيف التراث العربي منه والفارسي واليوناني، وهو دون مشاحّة استطاع أن ينماز عنهم في استدعائه للشخصيات الصوفية كـ(عمر الخيام)، ويندمج كلياّ مع هذا الرمز حيث يصبح الشاعر هو نفس عمر الخيام، وهو من الحوار الشبيهي، حيث يخلق الشاعر من ذاته ذاتا أخرى يحاورها، ويتركها تقول عنه، وهذه الذات المخلوقة هي ذات الشاعر، ونحن عندئذ أمام توحّد تام للخيّام مع أنا الشاعر الذي يقول:

قال الخيام:

مّرت بالأرض قربي فلم ألتفت

كان قلبي يشكو إلى زهرة

ثمّ علّق حزنه في كلمة وبكا

لم أفكّر كثيرا فسيان عندي

تقدّم عقلي أم أدبر القلب مرتبكا

فكم خذل الخلق هذا الطريق

الوقت ضاع والعمر قد هلكا (17)

تتبع هذه الرؤية الدلالية ويتجلّى بُعدها التخييلي من خلال تجربة" عمر الخيام " الصوفية،التي ضمنها(رُباعياته) المعروفة ومنها: سمعت صوتا هاتفا في السحر، حيث يتجلّى لك ذاك الصوت المبحوح والمجروح في آن، وحينما يدرك الإنسان أنّ عُمره لا يطول بنوم ولا ينقص بطول سهر، أدرك عندئذ ما فرّط في جنب الله وعبادته، لأنّ أمر العمر بيده سبحانه وتعالى. ولأجل ذلك يقول الخيام:

فما أطال النوم عمرا ولا قصّر في الأعمار طول السهر

فالشاعر" فاتح علاّق " في قصيدته "قال الخيام" لا يستشهد بما قاله الخيّام في رُباعياته، بل يعانق صوته، ويحاكي تجربته حينما يخلص إلى القول بأن الخلق والورى قد ظلوا الطريق، حينما افتتنوا ببعضهم فهم في سكرة واضطراب، لأنهم أفنوا أعمارهم فيما لا طائل منه.وهي دعوة صريحة إلى النهوض من هذا السبات لأنّ الوقت قد ضاع والعمر قد هلكا– على حدّ تعبيره–

على أنّ الجزء الجوهري من دلالة القصيدة لا يتعلّق بالمعادل الموضوعي (عمر الخيام) كشخصية بقدر ما يتعلّق بالرمز الصوفي والتجربة الصوفية لما لها من طاقة مشعة دلاليا في النص، وتظهر لك عندئذ طرافة الإبداع وتميّز المقول وفرادته، لأنّ قيمة الرمز في مجال توظيفه وفي سياقات تجلّيه، فهم مستعمل ههنا استعمالا خاصا لغاية أدبية جمالية تأثيرية تتجاوز عتبة الإخبار والتوصيل كما يقول" محمد الهادي الطرابلسي"[18]

ب– أسطورة بروميثيوس:

تتجلّى أسطورة " بروميثيوس" كثيرا في قصائد الشاعر "فاتح علاّق" فهي تتوارى خلف كلّ قصيد من ديوانه" الجرح والكلمات" ودواوين أخرى "الكتابة على الحجر" حيث يجلّي لك الشاعر قيمة التضحية، وتظهر لك في أولى قصائد الديوان، وهي قصيدة "الجزائر في دمي" [19] والتي يمكن أن نسميها بقصيدة العشق، بحيث تعتمد سهولة اللفظ وبساطته في انسياب وذاتية التعبير، لأنّ العشق لا يتحمّل الغموض والتعقيد، فهي نهر متدفق وكأنّ القصيدة برُمّتها نفس واحد طويل ينساب على شكل تيّار جارف لا تعترف بالحزن والألم، ولا تُغازل اليأس بل تُذكي جذوة الأمل في قارئها، فالبرغم من جرائم هولاكو ومذابح التتر تعود عنقاء العرب بسيوف الكلمات لترسم للقارئء العربي والجزائري خاصة موقفا رافضا لليأس وبوجود إمكانية القول والفعل.

هكذا تتجلّى لنا قيمة التضحية كما ضحى "بروميثيوس" بنفسه حينما أراد أن يساعد البشر ولذلك سرق النار من الآلهة فعاقبه زيوس بأن قيّده في سلاسل على صخرة وكان يأتيه كل صباح نسر عملاق ينهش كبده الذي يعود لينموا من جديد في المساء ليستمر عقابه أبديّا وكان يتلقى عقابه متماسكا سعيدا لأن البشر يعيشون حياة سعيدة، ولكنه أيضا كانت لديه نبوءة كتمها ولم يخبر بها أحدا، تتعلّق بمن سيخلصه من عذابه وهذا سبب تماسكه بعذابه، وتحكي الأسطورة أن هرقل ابن زيوس هو الذي خلّصه من عذابه.[20]

فالشاعر يستحضر معاني التضحية والصبر كما في الأسطورة في سبيل الوطن يقول:

رغم الخناجر في فمي
رغم المعاول والمطارق فوق رأسي ترتمي
بالصبر أرسم وجهك في مقلتي
في مبسمي
في كل شبر من خرائط أضلعي
في أدمعي
لا تحسبي أني نسيت جمالك
لما تناثرت الكلاب على دمي [21]

وكأني بالشاعر إلى جانب استحضاره للأسطورة يستحضر" سليمان العيسى" عن وعي في قصيدته" أقاتل باسمك العربان" [22]

وإذا كان جرح "برومثيوس يلتئم وينمو كبده من جديد وهي كناية على العذاب الأبدي فإن شاعرنا جرحه لا يلتئم وهي كناية أيضا عن الألم الأبدي يقول:

تشرب الكلمات دمائي وتأكل لحمي
وتقتات ذاكرتي ثم ترفع هاما
كلما كبرت غرّها فرعها فاستطالت
وألقت عليّ بأجنحة من خزامى
وأرخت عليّ ستائرها ثم قالت سلاما سلاما
خانني وُدّها فاستتبت مفاتنها فاستطارت
وألقت ضراما
لو أنّي استطعت مددت جبالا من الهجر
لكن جرحي يأبى التآما
وإنّ جهنم كانت غراما الديوان [23].

وإلى جانب التضحية أيضا، والعذاب الأبدي نرى الشاعر أيضا متماسكا في عذابه وكأن لديه نبوءة سوف تخلصه من ألمه، حينما يترك الطير تنهشه وتنقر قلبه يقول الشاعر:

عندما يختفي المرء في جرحه
هاربا من لظى التجربة

ويصلي لآهاته ضارعا
خائفا من ندى
كيف يشتدّ أزر الأريج،
تمُدّ الأزاهير أعناقها؟
ينقر الطير قلبي؟
وينشق هذا الحجر؟[24]

فحينما ينشقّ هذا الحجر تتبجس منه الحياة، فيتخلص الشاعر من عذابه، إلا أن الشكوك لا تزال ببابه، فهي لا تتبدد حينما يرى في الأفق إلا نذير الشؤم يقول:

مررت على أملي
كانت الشمس تغرب في حملٍ
والبدر يقطع أوردتي
ويصلي لقاتلي
ويسلّم إسمي على صنم
كيف يمرّ السحاب
ولا فارس غير هذا الدم
غير هذا الغراب؟[25]

يرمز الغراب إلى الشؤم في الأفق وهو ما خرج من صندوق "باندورا" في الأسطورة الاغريقية ليعمّ أفق انتظار الشاعر ولكنه سرعان ما سيزول لأن الشاعر على علم بمن سيخلصه من جرحه الذي يأبى أن يلتئم، على الرغم من كونه لا يزال بعيدا عن مخلّصه إلا أنه سيأتي لأجل ذلك يقول:

ولكن هناك نداء عميق
سأحفر قلبي حتى أرى وطنا الديوان [26]

ت- أسطورة سيزيف:

بين الخلاص والشك فيه يتقلّب الشاعر، فتراه يستحضر"سيزيف" للدلالة على عذابه الأبدي، والذي ذكره الشاعر في ديوانه أكثر من مرّة[27] حيث يقوم " سيزيف " بدحرجة الصخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه وكلّما اقترب سقطت الصخرة من جديد فيعاود الكرة

وهكذا يستمر في معاناته من غير خلاص، ويتراءى لك هذا المشهد الدرامي في مناحي عدّة من الديوان لعل أكثرها استشهادا في قصيدته" على أبواب طيبة" يقول:

دمي جنجري إن رماني الخداع
وسيفي ظفري
أنا قادم من صراخ الزمان
سيزيف ألق بصخرتك الآن
وأصدع بأمري [28]

إذا كان سيزيف أبتلي بهذا العذاب الأبدي من غير خلاص، فإن شاعرنا يخلّصه من عذابه في هذا المشهد، للدلالة على موعد خلاصه، ولكن يتراءى له في الأفق غير ذلك ، ويساوره الشك من جديد ولأجل ذلك نراه في قصيدة "عودة التتر" يكرر ذكره في مشهد دراميّ مميز يقول:

من يزحزح صخرة سيزيف عنّي
ويرفع عنّي الصغار
من يردّ النبال التي تخرق الآن صدري
من يردّ الرمال التي تحفر الآن قبري[29]

حيث تتساوق الأسطر الشعرية الأخيرة ايقاعا وتركيبا، مكوّنة إيقاعا رهيبا ، يدلّ على أبدية العذاب، حيث لا خلاص.

ث- أسطورة أديب:

ويستمر الشاعر متململا بين الشعور بقرب خلاصه والشك فيه، ليصنع لنا مشهدا آخرا حيث يجعل من " أوديب" مخلّصا، على عكس ما يتردّد حول الأسطورة اليونانية، حينما عبثت الآلهة بالبشر وكأنها دمى ضعيفة، فأحلوا القتل واستباحوا الفسق والفجور وزنا المحارم.. [30].

حيث رسمت لنا أوديبا رمته الأقدار بذلك ولم يصنع مصيره بنفسه ، فهو مغلوب على أمره ليفعل بأبيه ما فعل وبأمه التي استباحها وزنا بها.والحقيقة أن "أوديب" مخلّص مدينة طيبة من " سفنكس" أو الهولة أو أبو الهول، لعنة هيرا ربّة الأرباب وزوجة "زيوس" كبير الآلهة وهنا يظهر لنا تميّز الشاعر في اقتناص الصور والمشاهد التي تبني رؤاه، وتُجلّي تجربته الشعورية، يقول:

سيزيف الق بصخرتك الآن
واصدع بأمري
لقد قتل الوحش أوديبُ فارفع جبينك
هل تبصر الآن نسري
فيا روح هبّي
لقد لفظ الوحش قلبي
وأقبل نصري [31]

هـ/ أسطورة صندوق باندورا:

تتجلّى أسطورة "باندورا " في ديوان "الجرح والكلمات " مجسّدة معاني الأمل في خلاص قريب، أو يوشك أن يكون كذلك، حيث يستحيل الأمل إلى كلمة والكلمة إلى أمل في قصيدته "ليس غير الكلمات "، في إشارة إلى أنّ شرور البشر من ألم ، ويأس، ونهم ، وبخل ، وشحّ، وخوف ووجل ، وأحقاد وانتقام ....لا تبدّدها إلاّ الكلمات، التي تلقي بتأثيرها على الناس فيفعلون.

ففي الأسطورة الإغريقية أُهديت " باندورا" صندوقا كهدية من "زيوس" وكان مليئا بكلّ الشرور كالجشع والغرور والافتراء والكذب والحسد والوهن..فبعد أن سرق " بروميثيوس " النار أمر زيوس إبنه "هيفستوس " بخلق المرأة " باندورا " كجزء من العقوبة البشرية وتمّ اعطاء " باندورا " الكثير من الهدايا من طرف "أفروديت" و "هيرميز" و"الكارايتات" و"هوري". حذّر "بروميثيوس" شقيقه "إبيميتوز" من أخذ أيّ هدية من "زيوس" خوفا من أعماله الانتقامية، غير أنّ "ابيميتوز" لم يصغ وتزوج "باندورا" التي كانت تملك صندوقا أعطايا "زيوس" إيّاه وأمرها ألاّ تفتحه، غير أنّ "باندورا" فتحت الصندوق وخرجت كلّ شرور البشرمنه أسرعت "باندورا" لإغلاقه لكن لم يبق فيه إلاّ الأمل ، أو روح الأمل..[32].

فالشاعر يستحضر هذه الدلالة للتعبير أنّ ما بقي في جوفه إلا الكلمات بعد أن حاول بسط يده على كلّ ما يعيق نهضة البشر من سباتهم، والذين لم يتيقنّوا أن مصيرهم إلى هلاك، ما لم يهتدوا إلى طريق الحقّ، وحاول بكلماته تغيير وجودهم وهم أُسارى يأسهم، و كسلهم ، وحينما لم يلق منهم التأثير المرغوب، رماهم بعقابه تارة ، وسلح عليهم بلسان غليظ أخرى، ولمّا لم يبق له من جهد في ترغيبهم لتغيير واقعهم بعد أن استنفد كل ما

هو جميل فيه وذو شأن، استسلم إلى كلماته، إذ لم يبق معه غيرها، وهنا تستحيل الكلمة إلى أمل ، كالأمل الذي بقي في صندوق "باندورا" يقول الشاعر:

ليس غير الكلمات
تغرس رأسا بصمتي
وتنادي القبرات
تشعل القلب بليلي
لتذوب صخرة الوادي بجفني
فأرى دنياي
لا خطوط الطول تعلي قامتي
لا ولا تجمعني فوضاي
ينثر الحلم عظامي
وطيور البحر تنفي سفني
وتواري جزري ريح عقيم
فإلام أغزل الروح على أسوار صيني (33)

إنّ لحظة الوعي هذه، والمتعلقة بالأمل (الكلمات) هي وحدها تحمل الشاعر إلى آفاق ومشارف قدوم فجر جديد في مواجهة ما هو كائن.

الخلاصـــة:

إنّ خصوبة التجربة الشعرية لفاتح علاّق تكمنُ في نسجه لأمشاج العلامات والرموز والإشارات القرآنية والشعرية والأسطورية في ديوانه ليقيم قواعد عالم متجانس يأسرنا ويحملنا في الآن نفسه إلى شطآنه السحرية، بحيث تحوّلت الأسماء في ديوانه إلى رموز خلقت مشاهد درامية في النص ووسعت من دائرة الإبداع لديه ، فهو موسى والمسيح ويوسف وداود والخضر والخيام وطارق بن زياد وأديب وسيزيف وبرومثيوس وباندورا وغيرهم كثير، وهو المعلمُ والقائد والقاتل والمقتول، وهو الوجود والبشر والبرُّ والبحر، ماء الحياة يهب لكلماته أضلعه وروحه لتقتات منهم لتحي من جديد ويجيء بدمه ويرسله نسغا فيجري في الشجر، فهو كائن في كلّ شيء ويسري ويجري في كل شيء سريانا وجريانا، ليُلبس غيره حلّة الحياة، ليزهوا معها بأصناف الأزهار وصنوف الثمار في انتظار الذي سيأتي ولكنه لا يأتي، فلم يبق عندئذ إلا الجرح والكلمات.

الهوامش:

1- صلاح فضل، شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1995 ص148.
2- فاتح علاق، ديوان الجرح والكلمات، دار التنوير االنشر والتوزيع، حسين داي ، الجزائر، 2008.
3- مقدمة ديوان الجرح والكلمات ، من الصفحة03 إلى الصفحة 08.
4- عصام حفظ الله حسين واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العواضي أنموذجا، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2011 ص37.
5- الديوان ص13
6- الديوان ص04
7- الديوان ص5
8- نفسه
9- الديوان ص06
10- الديوان ص07
11- الديوان ص82
12- الديوان ص16
13- الديوان ص39
14- الديوان ص40
15- نفسه
16- الديوان ص78
17- الديوان ص30
18- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، عالم الكتب، تونس(د-ت)(د-ط)، مقدمة الكتاب ص09
19- الديوان ص09
20- حسن عبد الغفار، الأساطير الاغريقية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية، دار طيبة للطباعة ، الجيزة، مصر ط1، 2011
21- الديزان ص09
22- ينظر مجلة الاقلام عدد خاص بمهرجان المربد الشعري الثالث، وزارة الاعلام، بغداد، العدد10، السنة التاسعة1974، ص42
23- الديوان ص12 و13
24- الديوان ص58
25- الديوان ص21 و22
26- الديوان ص39
27- ذكر سم "سيزيف" في قصيدة "على أبواب طيبة" ص34، وذكر أيضا في قصيدة"عودة التتر" ص91

28- الديوان ص34

29- الديوان ص91 و92

30- حسن عبد الغفار، الأساطير الاغريقية، مرجع سابق، ص293 بتصرف

31- الديوان ص34

32- حسن عبد الغفارن الأساطير الاغريقية، المرجع السابق، ص27 بتصرف

33- الديوان ص88.